أبو الحسن علي الحسني الندوي

الإمام محمد بن إسماعيل البخاري

وكتابه صحيح البخاري

*

الحديث والسنة ودورهما في الصيانة

عن التحريف والانحراف

*

قام بالنشر :

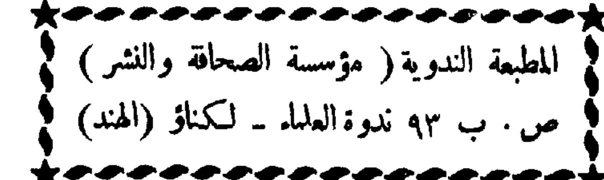
دار عرفات ، دارة الشيخ علم الله

رائے بریلی (الهنـــد)

١٤١٤هـ

١٩٩٣م

اهتم بالطبع
عتيق الرحمن الطيبي


المطبعة الندوية (مؤسسة الصحافة والنشر)
ص . ب ٩٣ ندوة العلماء ـ لكناؤ (الهند)

بسم الله الرحمن الرحيم

بين يدى الرسالة

هذه محاضرة ذات قيمة فكرية و توجيهية ، مفيدة ؛ قدمها سماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى فى مؤتمر عقده مركز أوكسفورد للدراسات الاسلامية فى مدينة سمرقند من بلاد ما وراء النهر ، موطن إمام المحدثين أبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفى البخارى صاحب أصح كتاب فى الحديث بعد كتاب الله تعالى .

و الامام البخارى أكبر أعلام علماء الحديث ، و مكانته بين المحدثين فريدة لمعرفته الواسعة الدقيقة لأحاديث الرسول ﷺ و لتفقهه لها و لنبوغه فى حفظها ، و لقد اعترف أهل العلم و المعرفة بسبقه على المحدثين الآخرين فى كل ذلك ، و تلقوا كتابه الجليل بالتقدير ، و اهتموا به

اهتماماً بالغاً ، تدريساً و شرحاً ، و لقد كان رحمه الله تعالى من مدينة بخارى ، وهى تقع فى بلاد ما وراء النهر التى زخرت بظهور عماليق من الرجال فى شتى العلوم و المعرفة ، و فى أعمال البطولة و القيادة و ممن نبغوا فيها فى عهدها الاسلامى الأول صاحب كتاب آخر فى الحديث الصحيح الإمام أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بن موسى الترمذى ، و صاحب كتاب الهداية فى الفقه الإمام برهان الدين المرغينانى و كتابه الهداية من أهم الكتب فى الفقه الحنفى و صاحب كتاب فى أصول الفقه الإمام الشاشى كما ولد و نشأ فى بلدة فيها إمام الطب العربى و الفيلسوف المعروف ابن سينا و الفيلسوف الكبير الفارابى .

ففى هذه الأرض ولد و نشأ الامام البخارى وقضى حياته كلها فى العكوف على طلب الحديث و روايته و حفظه و جمعه ، و اختيار أصح الأحاديث إسناداً و رواية فى كتاب جامع ، يعد أكبر أساطين الشريعة الاسلامية بعد كتاب الله تعالى ، فقرر مركز أوكسفورد للدراسات

الاسلامية بناء مجمع تعليمى و دينى منسوب إليه بموضع من وطنه ، يضم جامعاً و جامعة و معهداً للبحث و الدراسة فى الحديث الشريف ، ليعيد بذلك ما اندثر بطول الزمان و أثر الحدثان من مراكز العلم و الدراسة فى هـــذه البلاد و نظم للبدء به مؤتمراً حول الإمام و ندوة علمية ، و دعا إليها رجالات العلم من العالم الاسلامى و كان من أهم المدعوين عدد من كبار علماء الحديث من جامعات إسلامية مختلفة فى العالم الاسلامى و مراكز العلم و المعرفة الكبيرة مثل سماحة العلامة الشيخ عبد الفتاح أبو غده من بلاد الشام ، و الدكتور يوسف القرضاوى رئيس إحياء السنة من قطر ، و الدكتور عبد الله عمر نصيف الأمين العام السابق لرابطة العالم الاسلامى بمكة المكرمة ، و الدكتور عجاج الخطيب أستاذ الحديث فى جامعـــة الامارات ، و الدكتور الخراط من جامعة الكويت و غيرهم من العالم العربى و طائفة من كبار علماء الحديث من الأقطار العربية و الهند و الباكستان و غيرها .

و لقد جاء عقد مثل هذا المؤتمر مع عقد ندوة علمية

حول مكانة الإمام البخارى و أعماله الجليلة أول خطوة من خطوات المشروع ، ساعدت فيها حكومة ازبكستان بالضيافة كما ساعدت حكومة برونائى بتحمل جانب من النفقات و بالتعاون منهما و من غيرهما يقوم المركز الاسلامى بتنفيذ المشروع .

و عقدت الندوة فى ٢٣ ، و ٢٤ / من شهر أكتوبر سنه ١٩٩٣م فى مدينة سمرقند ، و ألقيت فيها بحوث و مقالات فى جوانب من الموضوع و كان من الحضور كاتب هذه الكلمة ، و كان من أهم البحوث الملقاة فى الندوة بحث لسماحة الشيخ أبى الحسن على الحسنى الندوى حفظه الله تعالى ، و اشتمل على نقاط مهمة لموضوع الندوة بجنب الحديث عن الإمام البخارى و مكانته العظيمة ، أردنا لتعميم النفع طبع البحث فى رسالة مفردة ، ندعو الله تعالى القبول ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

العاجز

محمد الرابع الندوى

الأمين العام للمجتمع الاسلامى العلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الامام محمد بن إسماعيل البخارى وكتابه «صحيح البخارى»

الحديث و السنة و دورهما فى الصيانة عن التحريف و الانحراف

الحمد لله رب العالمين و الصلاة و السلام على سيد الأنبياء و المرسلين و خاتم النبيين محمد و آله و أصحابه أجمعين ، و من تبعهم باحسان و دعا بدعوتهم إلى يوم الدين .

ميزة الرسول الأعظم ﷺ ، و قيمة الحديث ، و دوره فى إبراز هذه الميزة :

أما بعد ، فان الرسول الأعظم — ﷺ — هو الشخصية الفريدة — من بين الرسل و العظماء — التى نعرف عنها كل دقيق و جليل ، أو نعرف عنها من دقائق

الأخلاق و العادات ، و الميول و الرغبات ، و القول و العمل ما لا نعرفه عن كثير من الشخصيات التى مضت قريباً ، بل عن الشخصيات المعاصرة أحياناً ، و ذلك كله بفضل «الحديث» الذى سجل لنا هذه الحياة المباركة العظيمة .

لقد اعتادت الأمم القديمة و الديانات أن تصور أنبياءها ، و أن تنحت لهم تماثيل و أصناماً للأجيال القديمة . و تجدد ذكراهم ، و نشأت من ذلك الوثنية و عبادة التماثيل التى يعرفها الجميع ، و نشأت من ذلك آفات لا تزال الأمم و الديانات تعانيها ، و قد لطف الله بهذه الأمة و بالانسانية ، إذ حرم عليها تصوير الأنبياء و العظماء و نحت تماثيلهم ، و أبدلها بهذا الحديث النبوى ، الذى هو مجموع صور ناطقة يتعرف بها الانسان بنبيه و يسعد بصحبته ، و كأنه حضر مجلسه ، و استمع لحديثه ، و قضى معه مدة من الزمان ، يسمع كلامه و يشاهد فعله و يدرس سيرته ، فكان ضياع هذه الثروة — لا سمح الله بذلك — كارثة لا تقدر ، و خسارة لا تعوض .

حركة جمع الحديث و تدوينه التى لا نظير لها :

قد قيض الله لهذا العمل الجليل فوجاً من طلبة للعلم يعدون بالآلاف ، و يمتازون بعلو همتهم و شدة نشاطهم ، و قوة احتمالهم و صبرهم ، و قوة ذاكرتهم و حفظهم ، و قد تدفق سيلهم من بلاد العجم ، و قد ملكت قلوبهم و عقولهم الرغبة الشديدة فى جمع الحديث ، و شغفوا به شغفاً حال بينهم و بين الشهوات ، فطاروا فى الآفاق و نقبوا فى البلاد فى البحث عن الروايات المختلفة ، و الأسانيد الصحيحة ، و كان لهم فى ذلك هيام و غرام لم يعرفا عن أمة من الأمم للعلم فى التاريخ ، يدل على ذلك بعض الدلالة ما يروى عن المحدثين من التجول فى البلاد و السفر فى العالم الاسلامى من أقصاه إلى أقصاه (١) .

(١) ليرجع فى ذلك إلى كتب التاريخ و السير ، و الكتب التى ألفت فى تاريخ تدوين الحديث .

دور الحديث فى تقويم الأمة و بقائها على المنهج المطلوب :

ثم إن الحديث ميزان عادل يستطيع المصلحون فى كل عصر أن يزنوا فيه أعمال هـــذه الأمة و اتجاهاتها ، و يعرفوا الانحراف الواقع فى سير هذه الأمة ، ولا يتأتى الاعتدال الكامل فى الأخلاق و الأعمال إلا بالجمع بين القرآن و بين الحديث ، الذى هو يملأ هذا الفراغ الذى وقع بانتقال الرسول صلى الله عليه و آله وسلم إلى الرفيق الأعلى ، و هذه الفجوة لا بد منها فى السنن الالهيـة ، « وما محمد إلا رسول ، قد خلت من قبله الرسل » « إنك ميت و انهم ميتون » فلو لا الحديث الذى يمثل هـــذه الحياة المعتدلة الكاملة المتزنة ، و لولا التوجيهات النبوية الحكيمة ، و لولا هذه الأحكام التى أخـــذ بها الرسول المجتمع الاسلامى لوقعت هذه الأمة فى إفراط و تفريط ، و اختل الاتزان ، و فقد المثال العملى الذى حث الله على الاقتداء به ، بقوله : « لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة » و بقوله : « قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى

يحببكم الله » و الذى يطلبه الانسان و يستمد منه الثقة و القوة فى الحياة ، و يقتنع بأن تطبيق الأحكام الدينية على الحياة ميسور و واقع .

مصدر قوة و ميزان عدل :

ثم إن الحديث زاخر بالحياة و القوة و التأثير الذى لم يزل يبعث على الإنتاج و الزهد و التقوى ، ولم يزل باعثاً على محاربة الفساد و البدع ، و حسبة المجتمع ، و لم يزل يظهر بتأثيره فى كل عصر و بلد ، من رفع راية الاصلاح و التجديد ، و حارب البدع و الخرافات و العادات الجاهلية ، و دعا إلى الدين الخالص و الاسلام الصحيح ، لذلك كله كان الحديث من حاجات هذه الأمة الأساسية ، و كان لا بد من تقييده و تسجيله و حفظه و نشره .

منزلة الامام محمد بن إسماعيل البخارى فى فن الحديث و عبقريته :

من أعجب ما روى فى ذلك هو ما يرويه أبو أحمد ابن عدى الحافظ ، عن الإمام محمد بن إسماعيل البخارى ، صاحب الجامع الصحيح ، قال : سمعت عـدة من مشايخ بغداد يقولون : إن محمد بن إسماعيل البخارى قدم بغداد ، فسمع به أصحاب الحديث ، فاجتمعوا و أرادوا امتحـان حفظه ، فعمدوا إلى مائة حديث ، فقلبوا متونها و أحاديثها ، و جعلوا متن هذا الاسناد لاسناد آخر ، و إسناد هـــذا المتن لمتن آخر ، و دفعوها إلى عشرة أنفس ، لكل رجل عشرة أحاديث ، و أمروهم إذا حضروا المجلس أن يلقوا ذلك على البخارى ، و أخذوا عليه الموعد للمجلس ، فحضروا و حضر جماعة من الغرباء من أهل خراسان و غيرهم من البغداديين ، فلما اطمأن المجلس بأهله انتدب رجل مـن العشرة ، فسأله عن حديث من تلك الأحاديث ، فقال : « لا أعرفه » فلم يزل يلقى عليه واحداً واحداً حتى فرغ ، و البخارى يقول : « لا أعرفه » ، و كان العلماء ممن حضر

المجلس يلتفت بعضهم إلى البعض و يقولون: «فهم الرجل» و من كان لم يدر القصـــة ، يقضى على البخارى بالعجز و التقصير وقلة الحفظ ، ثم انتدب رجل من العشرة أيضاً فسأله عن حديث من تلك الأحاديث المقلوبة فقـال : «لا أعرفه» فسأله عن آخر ، فقال : «لا أعرفه» فلم يزل يلقى عليه واحداً واحداً حتى فرغ من عشرته ، و البخارى يقول : «لا أعرفه» ثم انتدب الثالث و الرابع إلى تمام العشرة، حتى فرغوا كلهم من القاء تلك الأحاديث المقلوبة، و البخارى لا يزيدهم على أن يقول : «لا أعرفه» فلما علم أنهم قد فرغوا التفت إلى الأول فقال: أما حديثك الأول فقلت كذا ، و صوابه كذا ، و حديثك الثانى كذا و صوابه كذا ، و الثالث و الرابع على الولاء حتى أتى على تمـام العشرة ، فرد كل متن إلى إسنـاده و كل إسناد إلى متنه ، و فعل بالآخرين مثل ذلك ، فأقر الناس له بالحفظ ، و أذعنوا له بالفضل

قال الحافظ ابن حجر بعد ما حكى هذه القصة « قلت : هنا يخضع للبخارى ، فما العجب من رده الخطأ إلى الصواب ، فانه كان حافظاً ، بل العجب من حفظه الخطأ على ترتيب ما ألقوه عليه من مرة واحدة » .

مزية الجامع الصحيح للبخارى و فضله، و عناية الأمة به تلقياً و رواية ، و شرحاً و تدريساً :

ولا نعرف كتاباً من كتب البشر — فى المكتبة الدينية العالمية — تناوله العلماء و المؤلفون بالشرح و التحشية و التعليق مثل ما تناولوا كتاب هذا الامام الجليل الذى هو أصح الكتب بعد كتاب الله ، وقد كان الشرح والتعليق هو المجال العلمى الذى تظهر فيه عناية العلماء و المؤلفين فى العصور القديمة ، و مقياس اهتمامهم بأثر علمى ، فكان أكثر الكتب شروحا و تعليقات هو أعظم المؤلفات تقديراً ، و أعلاها منزلة ، و أكثرها شهرة ، و كان أقل الكتب شروحاً و تعليقاً ، أخملها ذكراً و أقعدها

شهرة وصيتاً ، فيبقى مطموراً مغموراً ، لا يسترعى انتباهاً ولا يثير اهتماماً ، فاذا أخذ هذا المقياس — وهو المقياس الوحيد لنجاح كتاب فى عهدنا العلمى الماضى ، و الدليل القاطع على احتلاله للصدارة فى المجلس العلمى — حكمنا بأن « الجامع الصحيح » للبخارى قد فاز بالقدح المعلى فى هذا الميدان، و احتل الصدارة فى مكتبتنا الاسلامية التى انبثقت عن القرآن و دعوة الاسلام ، و امتدت على مشارق الأرض و مغاربها فى المساحة الأرضية المكانية ، و على القرن الأول إلى القرن الثالث عشر — على الأقل — فى مساحتها التاريخية الزمانية ، فقد بلغ عدد شروحه و التعليقات عليه إلى مائة و واحد و ثلاثين كتاباً (١٣١) وقد يكون العدد أكثر من هذا ، فقد كان هـذا الاستقصاء مؤسسا على « كشف الظنون » للجلبي ، و « مفتاح السعادة » لطاش كبرى زاده ، و « اتحاف النبلاء » ، و « الديباج المذهب » و « نيل الابتهاج » و مقدمات الشروح المشهورة التى كانت

فى متناول يده ، و « الثقافة الاسلامية فى الهند » (١) للعلامة عبد الحى الحسنى مدير ندوة العلماء الأسبق ، (م ١٣٤١هـ) و بعض دراساته و تتبعاته الفردية ، ولا شك أن العالم الاسلامى أوسع مما تخيله الجغرافيون ، و التاريخ الاسلامى العلمى أغنى مما دونه المؤرخون ، وفى الزوايا خبايا لم تقع عليها عين ولم تطلع عليها الشمس .

و إن كتاب « فتح البارى » للعلامة ابن حجر العسقلانى الذى يقع فى ثلاثة عشر مجلداً ضخماً و مقدمة مبسوطة تكاد تكون مكتبة مستقلة فى علوم الحديث ، كتاب لا يوجد له نظير فى مكتبات الديانات و الملل ، و إن لهذه الأمة الاسلامية أن تفتخر بهذا الأثر العلمى الخالد ، و تقدمه إلى علماء الديانات و الفلسفات ، و رواد الحضارات و الثقافات ، كبرهان ساطع على جهاد هذه الأمة العلمى و نبوغها الفكرى و ولوعها بآثار نبيها و الغوص

---

(١) صدرت له طبعتان من مجمع اللغة العربية بدمشق .

فيها إلى أعماق ليست بعدها أعماق ، و الوصول فيها إلى آفاق ليست وراءها آفاق ، هذا مع عدم الحط من قيمة الشروح الأخرى — و فى مقدمتها « عمدة القارى » للعلامة بدر الدين العينى ، التى هى مكتبة حافلة فى النحو و العربية و علوم البلاغة و الأحكام المستخرجة و الفوائد المستنبطة من الأحاديث .

ثم يلى هذا المقياس ، شدة العكوف على دراسة الكتاب و التهافت على روايته و نقله ، و التنافس فى حمله و نشره و ضمه إلى الصدور و العض عليه بالنواجذ و توارث الأجيال فى تلقيه جيلا بعد جيل ، و كابراً عن كابر ، و تلميذاً عن أستاذ ، و طبقة عن طبقة ، حتى لا تعرف فترة من الزمان ، نسج فيها عليه العنكبوت و ساد عليه الظلام ، و انقطعت روايته و توقفت دراسته و عبث به العابثون ، و تصرف فيه الخائنون المحرفون ، و قد تفرد الجامع الصحيح بهذه الميزة بعد كتاب الله ، فقد أخذ هذا الكتاب

عن مؤلفه تسعون ألفا من الرواة و الحفاظ ، و تسلسل نقله و روايته حتى انتهى هذا الكتاب إلى مؤلفه ، و بلغ حد التواتر فى شهرته و صحة نقله ، و نسبته إلى المؤلف ، لا ينكر ذلك ولا يتشكك فيه إلا من تشكك فى المتواترات و الحقائق العلمية التى تثبت بالضرورة ، ولا يزال هـذا الكتاب موضع الاهتمام و العناية و موضوع التأمل و الدراسة فى الحلقات العلمية فى العالم الاسلامى .

مزية الأبواب و التراجم و لطائفها و دقائقها :

و مما تقرر عند المشتغلين بصناعة الحديث تدريساً و تصنيفاً و شرحاً و تحقيقاً أن الأبواب و التراجم فى هذا الكتاب من أدق البحوث و المطالب و من أعمقها غوراً و أبعدها مدى ، حتى اشتهر بين العلماء أن فقه البخارى فى تراجمه ، و أصبح ذلك شعاراً لهذا الكتاب يتميز به عن أقرانه الصحاح على جلالة قدرها و فخامة شأنها ، و أصبح مقياساً لفطنة العلماء و توقد ذكائهم و سيلان

ذهنهم و بعد غورهم و اقتدارهم على فهم هـــذا الكتاب الجليل و حل غوامضه و فتح أغلاقـــه ، و التوصل إلى مقاصد المؤلف ، لا يشهد لمؤلف أو مدرس ببراعة فى العلم و تفوق فى التدريس ، وسعـــة اطلاع على الشروح و الحواشى و أقوال الأئمة و الفحول من المحدثين ، و طول ممارسة لتدريس هذا الكتاب الشريف ، و إضنـاء القوى و إفنـاء العمر فى ذلك حتى يجتمع له الشئ الكثير من هـــذا الباب ، و ينفرد بتوجيهات و تعليلات تنحل بها الألغاز و تنفتح بها الأقفال و تخلو عنها بطون الأسفار .

و لذلك عنى بهذا الموضوع العلماء قديماً و حديثاً ، و أجالوا فيه قداحهم و أركضوا فى هذا السباق جيادهم ، و اعتصروا فى ذلك عقولهم الراجحة و علومهم الراسخة ، ولا نعرف أديباً أو لغوياً تعمق فى فهم بيت من الأبيات ، و معرفة معنى من المعانى الشعرية و الوصول إلى غاية من غايات الشعراء مثل تعمق شراح الجامع الصحيح و المشتغلين بتدريسه فى فهم مقاصد المؤلف و شرح كلامه .

ولا نعرف — على طول اشتغالنا بالتاريخ العلمى — مؤلفاً من مؤلفات العلماء أو الحكماء عنى به رجال ذلك الفن و عكفوا على حل غوامضه وفك مشكلاته حتى شقوا فيه الشعرة ، مثل ما عنى علماء الحديث بالجامع الصحيح ، وما ذلك إلا لاخلاص مؤلفه لعلم الحديث الشريف و انقطاعه إليه و جهاده فى سبيله ، و تفانيه فى ذلك (١) .

و سر الغموض فى هذه الأبواب و التراجم تنوع مقاصد المؤلف الامام و بعد مراميه و فرط ذكائه ، وحدة ذهنه و تعمقه فى فهم الحديث و حرصه على الاستفادة و الافادة منه أكبر استفادة ممكنة ، فهو كنحلة حريصة تواقة تجتهد أن تتشرب من الزهرة آخر قطرة من الرحيق ، ثم تحولها إلى عسل مصفى فيه شفاء للناس .

---

(١) من المؤلفات الحديثة فى هذا الموضوع « الأبواب و التراجم للبخارى » للعلامة المحدث الشيخ محمد زكريا السهارنفورى (م ١٤٠٢هـ) .

شأن الامام البخارى مع الحديث النبوى :

و شأن الامام البخارى مع الحديث النبوى الصحيح شأن العاشق الصادق ، و المحب الوامق مع الحبيب الذى أسبغ الله عليه نعمة الجمال و الكمال ، و كساه ثوبا من الروعة و الجلال ، فهو لا يكاد يملأ عينيه منه ، وهو كلما نظر إليه اكتشف جديداً من آيات جماله ، فازداد افتتانا و هياماً ، و رأى جماله يتجدد فى كل حين ، و إذا الوجه غير الوجه و الجمال غير الجمال ، فلا قديم فى الحب ولا اعادة عند المحب ، و صدق الشاعر :

يزيدك وجهه حسنا إذ ما زدته نظرا

و لذلك ترى الامام البخارى لا يكاد يشبع من استخراج المسائل ، و استنباط الفوائد و النزول إلى أعماق الحديث و التقاط الدرر منه ، و الخروج على قرائه بها حتى يذكر حديثاً واحداً أكثر من عشرين مرة ، و استخرج أحكاماً و فوائد جديدة .

روى حديث جابر قال: كنت مع النبي صلى الله عليه و آله وسلم فى غزوة فأبطأ بى جملى و أعيا ، الحـــديث أكثر من عشرين مرة .

فكأنه تأخذه النشوة و الطرب عند رواية الحديث فلا يمل من إعادته و ينشد بلسان الحال :

أعد ذكر نعمان لنـا إن ذكره
هو المسك ما كررته يتضوع

و كأنه يتمثل ببيت الشاعر :

و حدثتنا يا سعد عنهـــم فزدتنا
شجونا فزدنا من حديثك يا سعد

ثم يشتعل ذكاؤه — الذى ضرب فيه بسهم وافر — و يتوقد ذهنـــه و تسيل قريحته ، فيفلت زمام التأليف و يرسل النفس على سجيتها و يستخرج من حديث واحد نتائج و فوائد لا تدور بخلد كثير من الأذكياء ، وما ذلك إلا لحدة ذهنه و إفراط حبـــه ، ولم يزل المحب ملهماً

للبدائع، ملهبا للقرائح ، و المحب يقع على ما لا يقع عليه المتأمل المرهق لجسمه المتعب لعقله .

حاجة الأمة إلى الحديث و دوره فى حسبة الأمة و حركات التجديد و البحث الجديد :

من استعرض التاريخ الاسلامى عرف أنه لولا السنة المحفوظة و الحديث المأثور ، لما أمكنت الحسبة على المجتمع الاسلامى ، و لما قام المصلحون و المجددون فى كل عصر و مصر ، يميزون بين السنة و البدعة ، و الحق و الباطل ، و المعروف و المنكر .

فالحديث مدرسة دائمة خالدة ، يتخرج فيها مصلحون و مجددون ، و قوة دافعة إلى الأمام و إلى الاضطلاع بأعباء الدعوة و الحسبة .

و قد علل العالم الغربى المهتدى محمد أسد (ليو بولد ويس سابقاً) التنصل من السنة و نزعة إنكار الحديث — التى ظهرت طلائعها فى الفترة الأخيرة — فى ضوء معرفته

لنفسية الجيل الجديد ، و قوة سيطرة الحضارة الغربية ، بصعوبة التطبيق بين موازين الحضارة الغربية و قيمها و أساليب حياتها و « موضاتها » و بين السنة و الجمع بين الحياة التى تقوم على الحب العميق و الثقة التامة بصاحب الرسالة الاسلامية ، و مصدر السنة النبوية — عليه الصلاة و السلام — و بين تقديس الحضارة الغربية و النظر إليها كآخر ما وصل إليه العلم الانسانى ، ولعل هذا هو السبب الذى يحث بعض القادة السياسيين و الحكام ، فى بعض الشعوب الاسلامية و الأقطار العربية ، على الهجوم على السنة و إنكار الحديث .

و أخيراً — لا آخراً — أضم إلى هذه الكلمة التى سطرت على عجل عن فضل الامام محمد بن إسماعيل البخارى فى فن الحديث و مكانة كتابه الفريد الجامع الصحيح ، أنه يجب أن يكون الغرض الأساسى من هذا الالتقاء الجامع الفريد الذى جاء فى أوانه و فى مكانه ، بعد

ما انقطعت الآمال ، و طالت الآجيال ، و حالت الأوضاع السياسية ، و المسافات الجغرافية ، انتهاز هذه الفرصة التى قلما يجود بها الزمان لتجديد ما خص الله به الامام البخارى ، و وقف له حياته و مواهبه و طاقاته من جمع الحديث الصحيح و إتحاف الأمة به ، و إتمام الحجة عليها ، و تبيين منهج النبوة الصادقة الأخيرة ، و التشبث بالكتاب و السنة ، و التجنب عن البدع و المحدثات بدلا من الاحتفال بذكراه ، كذكرى زعيم من الزعماء أو فاتح من الفاتحين ، أو كأديب و شاعر يكون مفخرة البلاد ، فيستعان فى ذلك بما ما أنزل الله به من سلطان ، ولا ثبت من مراجع الدين الصحيحة ، ولا ظهر فى خير العصور ، من إقامة تذكار بنائى شامخ ، أو تخصيص ضريح و تشييده ، يرحل إليه من آفاق بعيدة ، و يجتمع عليه الجم الغفير ، و يؤتى عليه بأعمال و مظاهرات تكريمية تبلغ إلى حد التقديس الذى انتهت إليه الأمم السابقة قبل الاسلام .

و قد حذر منه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إذ قال : «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد» (١) و قال — عليه الصلاة و السلام — «لا تجعلوا قبرى عيدا» (٢) و كلمة العيد كلمة بليغة واسعة الآفاق متنوعة المظاهر ، لا يقولها إلا نبى شرفه الله بالوحى ، و أطلعه على ماضى الأمم السابقة و انحرافاتها ، و إنما نكتفى بالدعاء لصاحب القبر ، و برفع الدرجات و الجزاء الأوفى على جهاده العلمى و البلاغى ، و منحه فضل الأجر و الشكر من هذه الأمة و العزم الصادق قبل العودة على العناية بالحديث الشريف و العمل بالسنة ، و دراسة الجامع الصحيح دراسة عميقة دقيقة ، و العزم على نشر ما جاء فيه ، و الدعوة إلى التمسك بالحديث و السنة فى ضوء هذا الكتاب العظيم و السفر الجليل ، و محاربة الشرك و البدع فى نطاق نفوذنا ، و بأقصى جهدنا .

---

(١) المؤطا للامام مالك بن أنس .

(٢) سنن أبى داود .

هذا مع تكوين مكتبة تختص بالحديث الشريف و إنشاء مدرسة خاصة بالعلوم الدينية ، و التضلع من مصادر الدين الصحيح ، و التشبع بروح الدعوة إلى الدين الحنيف و الاسلام الخالص ، و بذلك ترجع إلى هذا المكان التاريخى العظيم ، الذى أكرمه الله بظهور النوابغ و العباقرة فى العلوم الدينية ، و المحدثين الكبار الذين كان ولا يزال فى مقدمتهم و على رأسهم الامام محمد بن إسماعيل البخارى ، الذى اجتمعنا لاحياء ذكراه ، و الاعتراف بفضله ، و الاغتراف من بحره ، مكانته فى تاريخ الدين و العلم ، و فضله و شرفه ، و تعود إليه البركات ، و تشد إليه الرحال .

و السلام عليكم و رحمة الله و بركاته

أبو الحسن على الحسنى الندوى

الأول من جمادى الأولى ١٤١٤ من الهجرة

١٨/١٠/١٩٩٣م

فهـــــرس